

الرَّسَالَة ٧٢

إِنَّ اللَّهَ مَحَبَّةً فَكَيْفَ يَخْلُقُ الْجَحِيمَ؟

(Arabic - How could a loving God send people to Hell?)

حلقة جديدة من سلسلة : سُؤَالَ حَبْرِي وَجَوَابُ أَفْنَعِي
وسؤال هذه الحلقة : إِنَّ اللَّهَ مَحَبَّةً فَكَيْفَ يَخْلُقُ الْجَحِيمَ؟
يُجِيبُنَا عَلَى هَذَا السُّؤَالَ : Cliffe Knechtle
في كتابه : Give me an answer that satisfies my heart and my mind.
وقد حصلنا على تصريح كتابي من الناشر بالترجمة إلى اللغة العربية.

سألني أستاذ جامعي هذا السؤال: كيف نتصور أن الله وهو إله المحبة الفائقة من الممكن أن يُلقي إنساناً في الجحيم؟! هل يُعقل أن الله يسمَح بوجود مكان كهذا لتعذيب إنسان أخطأ؟! ونحن نعلم أن قلب الله يفيض بالرحمة والحنان!. أليس ذلك أمراً متناقضاً لا يمكن تعليقه؟! ورداً على ما طنَّه أستاذ الجامعة أنه أمرٌ متناقضٌ أقول: أما يُثيرُ مشاعرَ الغضبِ فينا أن نسمعَ عن قاتل ارتكبَ جريمةَ البشعة ولم يَنَلْ قصاصاً لهروبه من العدالة؟! أو أن إنساناً ارتكبَ شراً فاضحاً تحت جنح الظلام إذ اغتصبَ إحدى الفتيات بعد أن اختطفها عنوةً ثم مرَّقَ جسدها وألقاه في طريق مجهول؟! أولم تسمعَ عن الوحوش الأدمية التي لا يحلو لها إلا الاعتداء على الأطفال الأبرياء؟! إن قلوبنا تعترضُ ألماً ومشاعرنا تنهارُ ضيقاً وسخطاً إذا وقعَ ظلمٌ أو غبنٌ على أربياء.. أليس كذلك؟! فإذا كان ذلك هو إحساسنا بالنسبة للشرِّ ونحن بشرٌ.. فكم يكون وقعُ هذه الأمور على قلبِ الله المحبِّ؟!.

إنَّ الله قَدُوسٌ وبارٌّ وعادلٌ لا يقبلُ الشرَّ الذي في العالم ولا يسكتُ عليه.. فإذا كانت العدالة الأرضية قاصرةً وعاجزةً لا تستطيع أن تعطي كلَّ ذي حقِّ حقه فعدالة السماء كفيلاً بإنصافِ المظلومين وعقابِ الظالمين.. وغيَّبَ اللهُ معلنٌ من السماء وسخَّطه على الأشرار الممتسكين بشرهم!.. إن هؤلاء لن يفلتوا من دينونته وإن كان يتأني عليهم. فهو يمهّل ولا يهمل!. إنَّ الله قَدُوسٌ وبارٌّ وعادلٌ وهو في الوقت نفسه الأبُّ المحبُّ الرحيمُ. الذي لا يُعَدُّ وسيلةً كي ينقذ كلَّ نفس ضالةً محكومٌ عليها بالهلاك الأبدى. هذا إذا رجعتُ تلك النفسُ نادمةً ومُعترفةً بذنبها وتائبية توبة صادقة.. لقد أرسلَ الأبُّ السماوي الابنَ الوحيدَ الذي هو بهاء مجده ورسمُ جوهرة وحاملُ كلِّ الأشياءِ بكلمةٍ قدرته ليموتَ من أجلِ معاصينا وليقتدينا من العذاب الأبدى في الجحيم.. لقد حملَ ابنُ الله دينونةَ الخطية وعقابها وبهذا فتحَ اللهُ بابَ رحمته لكلِّ أتيماً لينالَ صفحاً وتبريراً.. فتحَ باباً للنعم ليسقبلَ كلَّ راجع تائبٍ نادمٍ وأُغلقَ باباً للجحيم لينقذَ كلَّ مَنْ يَقْبَلُ خلاصه العجيب.. وأتى بالإيمان ليغتسلَ من شروره وليتطهرَ بالدم الزكي. دم ابن الله المسفوك من أجله على الصليب لفدائه. فبذلك لا يتعرَّضُ للهلاك بل تكونُ له الحياة الأبدية.

حدتُ أن صديقين حميمين تخرَّجاً معاً في إحدى جامعات استراليا.. واحدٌ من الإثنين أصبحَ قاضياً.. أما الآخر فحصلَ على منصب كبير في أحد البنوك.. يوماً ما ألقوا القبضَ على الثاني متهماً باختلاس مليونين من الدولارات وجاءت محاكمته أمامَ صديقه القاضي.. تضاربت الآراءُ وقتذاك هل سيجرمُ القاضي بأمانة على صديقه الحميم مؤكداً أن العدلَ يسمو فوق كلِّ اعتبارٍ آخر؟! أم أنه سيبرئ صديقه من جريمته ليطلقه حراً؟!.. اكتظت قاعة المحكمة بالمُشاهدين.. وأثناء المداولة أخذ الناسُ يتطلعون إلى هيئة المحكمة متلهفين لسماع الحكم. وفي النهاية أصدرت المحكمة قرارها أن المتهم بالاختلاس مُذنب!. ثم أعلنَ القاضي الحكم النهائي. وهو أقصى عقوبة مُمكنة على صديقه.. تملكث الدهشة الجمع الحاشد وأخذوا شهيقاً عميقاً على التو. فلقد كان حكم القاضي صدمة مفاجئة لهم. ولكن ما أدهشهم أكثر أنهم رأوا القاضي يقفُ أمامَ الجمع ويخلعُ ستره القضاء. ويسيرُ متجهاً نحو

استمع إلى الإنجيل

Cliffe Knechtle¹

¹ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني رومية ١ : ١٨

² رسالة بولس الرسول إلى مؤمني رومية ٢ : ٤ - ٦

³ إنجيل يوحنا ٣ : ١٦

صَدِيقُهُ وَرَأَى الْقَضِيَّانَ بِالْمَحْكَمَةِ. وَيَمُدُّ إِلَيْهِ يَدَهُ قَائِلًا لَهُ: لَقَدْ بَعَثْتُ مَنْزِلِي وَسَحَبْتُ كُلَّ مُدْخَرَاتِي وَدَفَعْتُ كُلَّ مَا كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَدْفَعَهُ. فَإِذَا بِقَاعَةِ الْمَحْكَمَةِ تَتَعَالَى فِيهَا أَصْوَاتُ التَّصْفِيقِ الْحَادِّ مِنْ الْجَمْعِ الْحَاشِدِ فِيهَا.

لَقَدْ كَانَ الْقَاضِي عَادِلًا كُلَّ الْعَدْلِ.. وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ كَانَ مُحِبًّا وَفِيًا لِصَدِيقِهِ كُلِّ الْوَفَاءِ وَالْحَبِّ.. فَلَقَدْ أُعْطِيَ الْقَاضِي لِلْعَدَالَةِ حَقَّهَا.. وَحَفِظَ لِلْمَحَبَّةِ الْأَخَوِيَّةِ الصَّادِقَةِ كِرَامَتَهَا وَسَمُوًّا مَعْنَاهَا.. كُلُّ هَذَا تَمَّ فِي عَمَلٍ وَاحِدٍ قَامَ بِهِ الْقَاضِي وَهُوَ أَنَّهُ دَفَعَ دَيْنَ الصَّدِيقِ وَمَا الصَّلَاةِ.. وَهَذَا مَا عَمَلَهُ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ بِمَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ.. فَعَلَى الصَّلِيبِ تَلَقَى الْعَدْلَ وَالْحُبَّ مَعًا.. إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَسَاهَلُ مَعَ الْخَطِيئَةِ وَلَا يَتَجَاوَزُ عَنْهَا.. لِذَلِكَ تَحَمَّلَ ابْنُ اللَّهِ عُقُوبَةَ خَطَايَانَا. مَا أَعْظَمَ الثَّمَنَ الْمَدْفُوعَ لِتَبْرِيرِ الْخَاطِئِ. لَمْ يَكُنْ بِفَضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ بَلْ بِمَا هُوَ أَثْمَنُ. إِنَّهُ دَمُ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ!¹

إِنَّ مَا يَطْلُبُهُ اللَّهُ مَنَا هُوَ أَنْ نَقْبَلَ مَا فَعَلَهُ مِنْ أَجْلِنَا.. فَعَلَى الصَّلِيبِ احْتَمَلَ ابْنُ اللَّهِ الدَّيْنُونَةَ كَامِلَةً نِيَابَةً عَنَّا وَعَلَى الصَّلِيبِ قَدَّمَ لَنَا الرَّحْمَةَ كَامِلَةً.. فَإِنَّ قَبْلَنَا عَطِيَّةَ الْمَحَبَّةِ الْعَجِيبَةِ وَالْغُفْرَانَ مِنَ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ حَظِيئًا بِرَحْمَةٍ كَامِلَةٍ.. وَإِنْ لَمْ نَقْبَلِ الْعَطِيَّةَ الْمَجَانِيَّةَ سَنَقَعُ تَحْتَ طَائِلَةِ عَدَالَةِ اللَّهِ.. وَسَنَحَاسِبُ عَلَى كُلِّ مَا فَعَلْنَاهُ مِنْ إِثْمٍ وَتَعْدَى عَلَى وَصَايَا اللَّهِ.. لَقَدْ أَعْلَنَ اللَّهُ بوضوحٍ أَنَّ الْعُقُوبَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْبَلِ الْعَطِيَّةَ هِيَ مَوْتٌ أَبَدِيٌّ فِي الْجَحِيمِ.²

يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ اللَّهَ فِي مَحَبَّتِهِ يَلْتَمِسُ الْمَعَادِيرَ لِلْمُجْرِمِ وَالسَّفَاحِ.. فَمَثَلًا إِذَا أَتَاهُ هَنْتَلِرُ يَوْمَ الْحِسَابِ يَبْتَسِمُ اللَّهُ فِي وَجْهِهِ قَائِلًا: حَسَنًا يَا Hitler أننى أقدر الظروف التي أدت بك إلى ارتكاب بعض الأخطاء. إن خطاياك لا تتعدى أكثر من قتل بعض الجماعات التي حشدتها في معتقلات التعذيب في Buchenwald and Auschwitz بألمانيا. وما حدث منك فهو من تأثير البيئة والعصر.. وليس عليك من ذنب! أنا غافر لك ما فعلت. ادخل السماء واستمتع بالنعيم! ليست المحبة لفهمها على هذا النحو! إن هذا يُنافي كل فضيلة! الأمرُ البديهيُّ أن نصحَّ السؤالَ فبدلاً من أن يكون: كيف يَسْمَحُ اللهُ بِوُجُودِ الْجَحِيمِ وَهُوَ إِلَهُ الْمَحَبَّةِ؟! الأصبوب أن يكون السؤال: إنَّ اللهَ مَحَبَّةً فَكَيْفَ يَسْكُتُ عَلَى صَرَاحِ الْمَظْلُومِينَ وَلَا يَسْمَحُ بِوُجُودِ الْجَحِيمِ لِلظالمين؟

سَأَلْتَنِي سَيِّدَةَ فِي كَالِيفُورْنِيَا: أَتَعْنِي بِكَلَامِكَ أَنَّهُ بِرَفْضِي لِلْمَسِيحِ أَذْهَبُ إِلَى الْجَحِيمِ؟! قُلْتُ لَهَا: إِنْ مَا يُعْلَنُهُ الْكِتَابُ الْمَقْدَسُ هُوَ أَنَّنَا تَمَرَّدْنَا عَلَى اللَّهِ وَعُقُوبَةُ هَذَا التَّمَرُّدِ هُوَ الْجَحِيمُ. وَلَكِنْ هُنَاكَ أَخْبَارًا سَارَةً وَهِيَ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ بِمَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ تَحَمَّلَ قِصَاصَ خَطَايَانَا.. نَحْنُ نَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ وَلَكِنْ أَمْكُنَّا بِالْمَسِيحِ أَنْ نَحْصَلَ عَلَى تَبْرِيرٍ وَعُفْرِ مِنَ الْعِقَابِ. وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نَقْرَرَ وَاحِدًا مِنْ إِثْمَيْنِ إِمَّا أَنْ نَضَعَ تَقَنَّتَنَا فِيهِ وَنَأْتِي إِلَيْهِ وَنَسْأَلُهُ الْغُفْرَانَ وَنَقْبَلَ عَطِيَّةَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ أَوْ نَرَفُضَ غُفْرَانَ اللَّهِ الْمَمْنُوحَ لَنَا فِي الْمَسِيحِ.. فَنَحَاسِبُ يَوْمَ الدَّيْنُونَةِ عَلَى رَفْضِنَا تَبْرِيرَ اللَّهِ لِلخَلَاصِ فَيَكُونُ مَصِيرُنَا الْجَحِيمَ الْأَبَدِيَّ! عِنْدَمَا انْتَهَيْتُ مِنْ حَدِيثِي رَأَيْتُ السَّيِّدَةَ تَتَحَرَّكُ بَعِيدًا عَنِ الْجَمْعِ. بَعْدَهَا تَقَابَلْتُ مَعَ سَيِّدَةٍ مَسِيحِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ قَالَتْ لِي: إِنَّ السَّيِّدَةَ صَاحِبَةَ السُّؤَالِ صَرَّحَتْ بِأَنَّهَا بَعْدَ سَمَاعِهَا إِبَاجَةً سُّؤَالِهَا عَرَفَتْ حَاجَتَهَا لِخَلَاصِ الْمَسِيحِ وَكَانَ قَرَارُهَا أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ الَّذِي تَحَمَّلَ عَنْهَا الْعُقُوبَةَ لِيَهْبِهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً فِي السَّمَاءِ!³

إِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَعَدْلَهُ وَرَحْمَتَهُ تَمَثَّلَتْ فِي الصَّلِيبِ.. فَهَلْ وَجَدْتَ أُخَى طَرِيقَكَ الْمُوْدَى إِلَى صَّلِيبِ الْفِدَاءِ الْعَجِيبِ؟! أَمْ مَا زِلْتَ غَيْرَ مُقْتَنِعٍ بِأَنَّ هُنَاكَ حِسَابًا وَثَوَابًا وَعِقَابًا لِكُلِّ مَا فَعَلْنَاهُ بِالْجَسَدِ سَوَاءً كَانَ خَيْرًا أَمْ شَرًّا؟! إِنَّ الْكِتَابَ الْمَقْدَسَ يُعْلِنُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ بِالرَّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ الْأَصْحَاحِ التَّاسِعِ إِذْ مَكْتُوبٌ: "وَضِعْ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةَ". وَبِالْأَصْحَاحِ الْعَاشِرِ إِذْ مَكْتُوبٌ: "مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللَّهِ الْحَيِّ".⁴

لِيُنْكَرَ أُخَى تَأْتِي إِلَى الرَّبِّ وَتَضَعُ رَجَاءَكَ فِي شَخْصِيهِ. أَدْعُوكَ لِتُصَلِّيَ مَعِي: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ مَا دَبَّرْتَ لِخَلَاصِي مِنَ الْهَلَاكِ فِي الْجَحِيمِ وَلِأَنَّ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ فِي دَارِ النِّعَمِ.. أَقْبَلْنِي إِلَهِي تَائِبًا رَاجِيًا غُفْرَانَكَ.. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِّ فَاقْبَلْنِي سَيِّدِي يَا مَنْ وَعَدْتُ بِقَوْلِكَ: مَنْ يُقْبَلُ إِلَيَّ لَا أُخْرِجُهُ خَارِجًا.

أخى القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

وإن أردت سماع تلك الرسالة بالإنجليزية من Cliffe Knechtel ستجد ذلك فى:

<http://www.givemeananswer.org/main/home/index.html>

¹ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى كوروسى ٢: ١٤ ، رسالة بطرس الرسول الأولى ١: ١٨

² رسالة بطرس الرسول الأولى ٤: ٥ ، Buchenwald ، Dachau ، Auschwitz

³ رسالة بطرس الرسول الأولى ٢: ٢٤

⁴ الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٧ & ١٠: ٣١